المجلة التاريخية الجزائرية | المجلد: 3، العدد: 01، جوان 2019. العدد التسلسلي: 11. ص31-46
Issn:2572-0023 | Volume: 3, N: 01, June 2019 . S/ N 11.p31-46

# جغرافية بلاد ما بين النهرين من خلال المصادر الكتابية المحلية (بيروسوس) والإغريقية (هيرودوت وزينفون) دراسة مقارنة

# La géographie de la Mésopotamie à travers les sources bibliques locales (Berossos) et de Grèce (Hérodote et Xénophon) - Étude comparative -

**د/ سمير العيداني * Dr. Elaidani Samir**

**جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – University of Mohamed Boudiaf M'sila**

**samir.elaidani@univ-msila.dz**



| History of the article/معلومات المقال | | |
|---|---|---|
| **Received/ الإرسال** | **Accepted/المراجعة** | **Published/القبول للنشر** |
| 2019/01/04 | 2019/02/08 | 2019/06/30 |



**الملخص:**

يتعلق موضوعي الموسوم أعلاه بالمصادر الأدبية التي يعتمد عليها الدارسون في التعرف على تفاصيل التاريخ العراقي القديم وبخاصة منها ما يتم تصنيفه ضمن المصادر الأدبية المحلية وأعني بها كتابات المؤرخ والكاهن البابلي بيروسوس Berossos (ولد في بابل حوالي 33 ق.م) والذي كتب حوالي عام 280 ق.م كتابا تاريخيا عن بابل استند فيه إلى المراجع القديمة خاصة مع وظيفته الكهنوتية، ويحتوي كتابه المعنون بـ " بابليات" Babylioniaca على ثلاث مجلدات، احتوى المجلد الأول على وصف جغرافي لبابل ومنطلق الحضارة فيها، ويحتوي المجلدين الثاني والثالث على تاريخ بابل وآشور مع سلسلة ملوك ما قبل الطوفان ثم قصة الطوفان، ثم عودة الملكية فسلسلة ملوك ما بعد الطوفان ثم تاريخ خمس سلالات ملكية، هذا وتجدر الإشارة الى أن معظم روايات "برعوشا" تأكّدت صحتها باكتشاف نصوص مسمارية جاءت تؤيدها، وللأسف لم يصلنا من كتابه إلا ما نقله المؤرخين "يوسفيوس فلافيوس" و"أوزابيوس القيصري". وفي المقابل سنشير إلى موضوع جغرافية المنطقة من خلال ما روته المصادر الكلاسيكية الاغريقية وبخاصة كتابات **هيرودوت Herodotus**(**484-425** ق.م): المؤرخ والرحالة اليوناني المعروف والذي يأتي حسب الكثير من الباحثين في طليعة المؤرخين اليونان، وهنا ترك

* المؤلف المرسل: د/ سمير العيداني، الإيميل: samir.elaidani@univ-msila.dz

أوصافا لمشاهداته حول الكثير من مناطق ومدن بلاد ما بين النهرين. ورغم كثرة الأخطاء التي وقع فيها "هيرودوت" لكن مجمل عمله ذو قيمة كبيرة، وانطلاقا من اهتمامه بالفرس ـ أعداء بلده اليونان ـ تعرّض في كتاباته إلى وصف جغرافية المنطقة، إذ وصف مدينة بابل على أنّها أهم وأحصن مدينة في بلاد ما بين النهرين، يضاف إليه كتابات **زينفون xenophone** :(**429–354 ق.م**) وهو من المؤرخين اليونان القلائل الذين حُفظت لنا أعمالهم، ومن أفضل أعماله الكتاب الذي عنوانه: "الصعود" "Anabasis" وهو يعتبر سيرة ذاتية، ويصف "زينفون" رحلة الحملة وهي تسير إلى جانب "الفرات" باتجاه الجنوب، وبعد عبور "زينفون" الفرات قادما من "أرمينيا" تحدث عن وصوله لنهر "أراخيس Araxes"والذي هو نهر "خابور الفرات".

**كلمات مفتاحية:** المصادر الأثرية، المصادر الكتابية، بيروسوس، هيرودوت؛ زينوفون، جغرافية بلاد ما بين النهرين.

## Résumé:

Mon sujet, mentionné ci-dessus, concerne les ressources littéraires sur lesquelles les érudits s'appuient pour apprendre les détails de l'histoire ancienne de l'Irak, en particulier ceux qui sont classés parmi les sources littéraires locales, à savoir. les écrits de l'historien et prêtre babylonien Berossos (né à Babylone vers 33 av. J.-C.), qui écrivit h. En 280 avant JC, un livre historique sur Babylone était basé sur des références anciennes, en particulier avec sa fonction sacerdotale, et son livre intitulé " Babylioniaca " contient trois volumes, le premier volume contient une description géographique de Babylone et le point de départ de la civilisation. , et contient les deuxième et troisième volumes sur l’histoire de Bab L et d’Assyrie avec la série de rois avant le déluge, puis le récit du déluge, puis le retour de la monarchie dans la série de rois après le déluge, puis l’histoire sur cinq dynasties de la monarchie, il convient de noter que la plupart des romans de "Barusha" ont confirmé leur validité en découvrant des textes cunéiformes venus les soutenir, et malheureusement nous n'avons reçu de son livre que ce que les historiens ont cité Yos Flavius et Osapius du Césarisa. D'autre part, nous allons nous référer à la géographie de la région à travers ce que les sources classiques grecques ont décrit, et en particulier les écrits d'Hérodote (484-425 av. J.-C.): le célèbre historien et voyageur grec, qui selon de nombreuses Des chercheurs à la pointe des historiens grecs ont laissé ici une description de ses observations sur les nombreuses régions et villes de la Mésopotamie, malgré les nombreuses

erreurs commises par Hérodote, mais l'ensemble de son travail est d'une grande valeur et est basé sur son intérêt pour les Perses - ennemis de son pays la Grèce - il a été exposé dans ses écrits pour décrire la géographie de la région, décrivant la ville de Babylone comme le plus important et le plus cheval du pays, la Mésopotamie, ajoutée aux écrits de Xénophone: (429-354 av. J.-C.) est l'un des rares historiens grecs dont les œuvres nous ont été conservées. L'une de ses meilleures œuvres est l'ouvrage intitulé "Ascension", qui est considéré comme une autobiographie et décrit le voyage de la campagne. Après avoir traversé l'Euphrate depuis le sud de l'Arménie, après avoir traversé l'Euphrate, il a parlé de son arrivée dans le fleuve Araxes, qui est l'Euphrate Khabour.

**Mots-clés**: Sources archéologiques - Sources bibliques - Berossos - Hérodote - Xénophon - Géographie de la Mésopotamie.

**مقدمة:**

لفهم حيثيات أحداث ومنجزات منطقة الشرق الأدنى القديم يُفترض بالباحثين التعرف على تفاصيل الأحداث السياسية والعسكرية في المناطق المشكلة له، كما يجب عليهم إدراك حجم الإنجازات التي توصل اليها انسان المنطقة منذ فجر التاريخ، والأمر يزداد إلحاحاً في المناطق التي كان لها الدور الأبرز في مساره ومن ضمنها منطقة بلاد ما بين النهرين، التي تعد حسب عدد من المختصين ذات السبق الحضاري في كثير من المجالات الحضارية، كما كان للدول التي توالت على حكمها التأثير الأبرز على مجريات الأحداث التاريخية التي وقعت بالشرق الأدنى القديم. والمعروف أنّ "علم الأشوريات" Assyriology هو فرع خاص في التأريخ للعصور القديمة يتضمن مختلف الحضارات التي توالت على منطقة بلاد ما بين النهرين كما يهتم عموما بالدول والشعوب التي تأثرت بالكتابة والحضارة في العراق القديم، وخصوصا تلك التي واكبت حقب التاريخ العام في بلاد الرافدين ممثلاً في الشعب السومري والأكادي والبابلي والأشوري وصولاً للكلدانيين، وهذا المجال أي علم الأشوريات كغيره من أقسام التاريخ القديم عامة لا يُمكن التعرّف عن تفاصيله دون الاستعانة بالوثائق التي تُمكّن من ذلك، وهي جملة المصادر المادية (الأثرية) والأدبية (الكتابية).

وخلال بحوثي التي أجريتها حول تاريخ منطقة بلاد ما بين النهرين وحضارتها، صادفني ذلك التنوع في المصادر الأثرية والأدبية التي تشكل الوثائق الأساسية التي اعتمدها الدارسون في كشف ماضي المنطقة، ولكن بالنظر إلى حجم المصادر الأثرية المتنوعة وبخاصة الرقم الطينية التي تجاوزت المليون رقيم ومشاهد الأختام الاسطوانية والكتابات المختلفة الموجودة في مختلف المنحوتات والمباني، وما يقابلها من مصادر كتابية تظهر شحيحة كماً و كيفاً، حيث لفت انتباهنا اعتماد الدارسين نوعين من المصادر الكتابية تختلف بين مصادر رافدينية محلية وبين مصادر كلاسيكية . يونانية رومانية.

ولعل كتاب "بابليات" الذي كتبه المؤلف البابلي "برعوشا" (بيروسوس) يُعد الكتاب الأهم والوحيد الذي دوّنه مؤلف بابلي يتحدث عن تاريخ المنطقة، وفي المقابل يعدّ ما كتبه المؤرخين "زينوفون" و"هيرودوت " أسبق المصادر اليونانية التي أشارت لتاريخ وحضارة بلاد ما بين النهرين، وفي هذه الدراسة أردت الخوض في المعلومات ذات الأصل الأدبي الكتابي، والتي تتحدث عن جغرافية المنطقة قيد الدراسة من خلال عقد مقارنة بين مرويات بيروسوس من جهة وما رواه " زينوفون "و"هيرودوت " من جهة أخرى.

**أولا . التعريف بالمؤلفين وكتبهم**

**1 . بيروسوس** Berossos: كاهن وفلكي ومؤرخ كلدي من بابل ومن عبدة الإله مردوخ، عاش في القرن الثالث قبل الميلاد. ولد بيرسوس خلال أو ربّما إثر فترة حكم الإسكندر المقدوني لبابل وذلك بين سنتي 330 إلى 323 ق.م، أو وعلى أقصى تقدير سنة 340 ق.م. ورد اسمه في المصادر اللاتينية بلفظ Berossos، وجاء الاسم في معجم الحضارات السامية Berosa [1] هذا ولا يُعرف تاريخ ولادته ووفاته على نحوٍ دقيق. ولكن يبدو أنه كان شاباً إبان سنوات حكم الاسكندر في بابل (331-323/324 ق.م)، وعاصر أنطيوخوس الأول


Berosus Caldaeus

Antiochos I، أي عاش في النصف الثاني من القرن الرابع والنصف الأول من الثالث ق.م[2].

كتب "برعوشا" قرابة عام 280 ق.م كتابا تاريخيا عن بابل استند فيه إلى المراجع القديمة خاصة مع وظيفته الكهنوتية، يحتوي كتابه" بابليات" Babylioniaca على ثلاث مجلدات ويسمى بـ«الكَلْديّات» Kaldaica ، احتوى المجلد الأول على وصف جغرافي لبابل و منطلق الحضارة فيها، ويحتوي المجلدين الثاني والثالث على تاريخ بابل وآشور مع سلسلة ملوك ما قبل الطوفان ثم قصة الطوفان، ثم عودة الملكية فسلسلة ملوك ما بعد الطوفان ثم تاريخ خمس سلالات ملكية [3] والراجح أنه صنّف كتابه باللغة اليونانية في مطلع عهد أنطيوخوس الأول (281- 261 ق.م) وأهداه إليه.

وتجدر الإشارة إلى أن معظم روايات "برعوشا" تأكّدت صحتها باكتشاف نصوص مسمارية جاءت تؤيدها [4]، وللأسف لم يصلنا من كتابه إلا ما نقله المؤرخين "يوسفيوس فلافيوس"[5] و" أوزابيوس القيصري" [6]. [7]

كما أنه من الواجب ذكره أن أهمية كتابات "بيروسوس" حول تاريخ بلاد ما بين النهرين القديم تظهر في عدة أوجه منها:

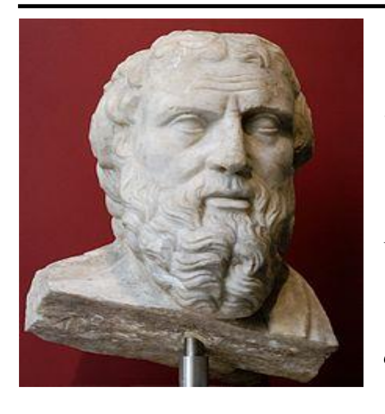
* القرب الزمني للمؤرخ من أحداث الشرق الأدنى القديم.

*كونه فلكيا بابليا ورجل دين وما يمثله من معرفة بالرصيد العلمي واللغوي للحضارة البابلية.

* إجادته للغة الأكادية بلهجتيها البابلية والأشورية وكذلك الكتابة المسمارية.

* اطلاعه على مختلف الوثائق المكدّسة في مختلف المعابد ومنها معبد الايزاجيلا ببابل.

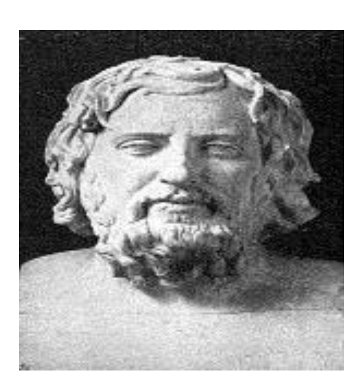
* القرب الجغرافي من منطقة الدراسة.



**2 . هيرودوت Herodotus(484–425 ق.م):**

مؤرخ ورحالة يوناني لقب بأبي التاريخ ولد عام 484ق .م في " هاليكار ناسوس" (التي تقع في الجنوب الغربي من آسيا الصغرى)، و توفي عام 420 ق.م ، ويأتي حسب الكثير من الباحثين في طليعة المؤرخين اليونان إذ ترك أوصافا لمشاهداته حول الكثير من مناطق ومدن بلاد ما بين النهرين حيث أنهى هيرودوت جولاته حوالي 450 ق.م، وكان عليه أن يجمع خلال رحلاته الوثائق التي استعان بها لتحرير كتابه، ورغم كثرة الأخطاء [8] التي وقع فيها "هيرودوت" لكن مجمل عمله ذو قيمة كبيرة [9].

ومن خلال اهتمامه بالفرس ـ أعداء بلده اليونان ـ تعرّض في كتاباته إلى وصف عادات وتقاليد شعوب الشرق الأدنى، إذ وصف مدينة بابل على أنّها أهم وأحصن مدينة في بلاد ما بين النهرين، كما وصف هندستها المعمارية، وذكر غزو الملك الأشوري "سنحاريب" لمصر[10]، ويعتبر "هيرودوت" حسب ما لدينا من الأدلة في الوقت الحاضر أول من كتب عن بلاد الرافدين بشيء من التخصص والتفصيل [11].



**3 . زينوفون xenophone:(429–354 ق.م)**

ولد في آثينا، من المؤرخين اليونان القلائل الذين حُفظت لنا أعمالهم، ومن أفضل أعماله الكتاب الذي عنوانه "الصعود" Anabasis " ( بعث من الداخل)، وهو يعتبر سيرة ذاتية كتبه بين 379 و 371 ق.م، إذ يصوّر فيه مغامرات عشرة آلاف جندي مرتزقة يونان تحت قيادته حوالي 401 ق. م [12].

حيث كان هؤلاء المرتزقة يحاربون في صفوف "قورش الصغير"Cyrus the minor" ضد "أرتاحشتا" Artaxerxes وبعد هزيمتهم عاد المرتزقة اليونان إلى بلادهم أين واجهوا

الكثير من المصاعب[13]، ويصف "زينفون" رحلة الحملة وهي تسير إلى جانب "الفرات" باتجاه الجنوب، كما يتحدث بشكل مختصر عن الزراعة وكيفية استغلال المياه وسحبها في قنوات من نهر دجلة، وبعد عبور "زينفون" الفرات قادما من "أرمينيا" ذكر "ثابساكوس Thapsacus" والتي هي مسكنه في "الفرات الأعلى" كما تحدث عن وصوله لنهر "أراخيس Araxes"والذي هو نهر "خابور الفرات" [14].

**ثانياً. كتابات المؤرخين حول جغرافية العراق القديم**

1. **بيروسوس**: صاغ المؤلف معلوماته الجغرافية حول بلاد ما بين النهرين في الجزء الأول من كتابه، وهنا تسهيلا للقارئ أدرجت النص بالإنجليزية لتليه الترجمة بالعربية كالآتي:

**النص الأول:**

He begins by saying that the land of the Babylonians lies between the Tigris and Euphrates rivers. The land produces wild wheat, barley, (lentils), chick-peas and sesame. The roots which grow in the marshes are also eaten. These are called *gongas* These roots have the same properties as barley. There are also dates, apples, and other fruits, fish and birds, both land and marsh birds.[15]

" **إن أرض البابليين تقع بين نهري دجلة والفرات. الأرض تنتج القمح البري، الشعير، (العدس)، الحمص والسمسم. الجذور التي تنمو في الأهوار هي أيضا تؤكل. هذه تسمى "غونغاس"gongas، هذه الجذور لها نفس الخصائص مثل الشعير. هناك أيضا، تفاح، وغيرها من الفواكه والأسماك والطيور، سواء الطيور البرية أو الموجودة في المستنقعات**."

وهنا أثبت المؤلف أنّ جغرافية المنطقة التي سادتها الحضارة تمتد بين النهرين، فيما يتماشى مع النظرة اليونانية التي تصب في اعتبار بلاد الرافدين المنطقة المسماة "ميزوبوتاميا" Mesopotamia والتي هي حرفيا "الأرض الواقعة وسط النهرين"، كما أشار "بيروسوس "إلى بعض المنتجات الزراعية التي تزرع في جنوب بلاد الرافدين وكلها أثبتتها المخلفات الأثرية والدراسات إضافة إلى اشارته إلى القمح البري مما يوحي إلى أن القصد هو منطقة الأهوار الجنوبية، حيث ثبت تواجد عدة أصناف من القمح البري والشعير منذ الحقبة السومرية.

أما إشارة المؤلف إلى الفواكه ومنها التفاح بالخصوص يُقصد به الفترات المتأخرة والتي واكبت عهد أشور العالمية خلال القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد، وهنا يشار إلى جلب الملك الأشوري "أسرحدون " الكثير من أنواع الأشجار ومنها الفواكه بعد توسعاته العسكرية المختلفة، كما توحي إشارة المؤلف إلى التفاح في كتاله إلى استمرار تواجده في العهد الكلداني والفترة السلوقية في بلاد ما بين النهرين.

**النص الثاني:**

The portions of Babylonia in Arabia are waterless and barren, but those lying opposite to Arabia are mountainous and fertile.[16]

**"إن أجزاء بابل في الجزيرة العربية لا مائية ولا قاحلة، لكن تلك التي تقف في مواجهة الجزيرة العربية جبلية وخصبة".**

وهنا يلاحظ أنّ "بيروسوس" كان مطلعاً بالجغرافية التي تحيط ببلاد الرافدين وبخاصة المناطق الجنوبية الغربية، وربما يقصد بذلك واحات شمال شبه الجزيرة العربية ومن ذلك "تيماء "التي زاد اهتمام البابليين بها منذ "العهد الكلداني" خاصة لما اتخذها الملك "نابونائيد" مستقرا له لفترة 10 سنوات.

**النص الثالث:**

In the first year a beast named Oannes appeared from the Erythraean Sea . in a place adjacent to Babylonia. Its entire body was that of a fish, but a human head had grown beneath the head of the fish and human feet likewise had grown from the fish's tail. It also had a human voice. A picture of it is still preserved today. He says that this beast spent the days with the men but ate no food. It gave to the men the knowledge of letters[17]

**" في السنة الأولى ظهر وحش يدعى Oannes من البحر الأحمر Erythraean seaفي مكان مجاور لبابل. كان جسمها بالكامل هو سمكة، ولكن رأس الإنسان نما تحت رأس الأسماك والقدمين البشريين وبالمثل نمت من ذيل السمكة. كان لها أيضا**

**صوت الإنسان، لا يزال يتم الحفاظ على صورة لها اليوم، هو يقول أن هذا الوحش قضى الأيام مع الرجال لكنه لم يأكل طعامًا."**

ومما يُشار اليه حول كتابات المؤلف هنا هو خلطه بين البحر الأحمر **Erythraean sea** وبين البحر الفارسي (**الخليج العربي**)، وهذا الخطأ يمكن تفسيره بالثقافة الاغريقية في الفترة الهلنستية التي تمتع بها الكاهن بيروسوس، إذ توارث اليونان وصفا للبحر الفارسي بالبحر الأحمر منذ كتابات هيرودوت عن المنطقة. أما عن إشارة المؤلف لهذا الوحش الذي ظهر من منطقة الخليج والمسمى **Oannes** ووصفه بأن جسمه في البداية كان سمكة ثم نما رأسه البشري من تحت ذلك، يذكرنا بالمخافات الأثرية التي صورت رجال الدين في بابل والتي صورتهم في شكل سمكة تغطي غالبية الجسد، مما يعكس تأثير الرصيد الكهنوتي البابلي على رواية بيروسوس هذه.

**النص الرابع:**

The Walling of Babylon

They say that everything originally was water and was called Thalassa. Bel restrained it, assigning a place to each thing, and he surrounded Babylon with a wall. But with the passage of time it disappeared and Nabouchodonosoros again built a wall with bronze gates which lasted until the Macedonian domination.[18]

. **"يقولون أن كل شيء كان في الأصل مياه وكان يسمى ثالاسا، بيل (زيوس) ضبط النفس، وتخصيص مكان لكل شيء، وأحاط بابل بجدار. ولكن مع مرور الوقت اختفت، بنى Nabouchodonosoros (نبوخذ نصر الثاني) مرة أخرى جدار مع البوابات البرونزية التي استمرت حتى السيطرة المقدونية."**

وتظهر للدارس من خلال رواية "بيروسوس" حول جدار مدينة بابل ، الاعتقاد الأكثر انتشارا في بلاد ما بين النهرين حول نّ كل شيء في الأصل كان مياها أزلية ، وهذه المعلومات استقاها مؤلفنا طبعا من تكوينه الديني التي اعتمدها من " أسطورة الخليقة البابلية"، غير أنه أشار إلى الإله " بيل" (زيوس) بوصفه من قام ببناء جدار بابل في أول الأمر ، وهو ما يتنافى مع أسطورة الخليقة

السابقة (التي تجعل من "مردوخ " الهاً خالقا وباني لجدار بابل، و يمكن تفسير ذلك فقط بالثقافة الهلنستية التي اكتسبها أثناء تواجده في بابل السلوقية و بعد انتقاله إلى "كونسوس" في كريت .

2 . **هيرودوت:**

يعتبر حسب الكثير من الدارسين أول من كتب عن تاريخ المنطقة ـ قيد الدراسة ـ بشيء من الاطالة والتفصيل خاصة وانه ادعى زيارته لبابل ورأى بنفسه معالم عاصمتها بابل، غير أنّ الأدلة الأثرية وما يستنتج من الأغاليط التي صاغها في كتاباته تنفي ما ادعاه [19]. وفي كتاب هيرودوت المعروف بـ "التاريخ" وردت للدارسين العديد من النصوص التي تتعلق بالمجال الجغرافي للمنطقة قيد الدراسة أو تشير إلى مواضيع لها علاقة بالجغرافية، والتي من الصعب الإحاطة بها وعرضها في هذه المداخلة مما دفع بي في غالب الأحيان ترك أمر الاطلاع عليها للقارء، وفضلت فقط التعقيب عليها كالآتي:

إشارة هيرودوت إلى "بلاد أشور" ووصفها بأنها "**منطقة قليلة المطر**"، مما دفع بها ـ حسبه إلى "**الاعتماد في عمليات الإرواء على أنهار المنطقة** "ولعل الأمر ينطبق على بلاد بابل وبعيد عن بلاد "أشور" التي تعرف منذ العهود القديمة بارتفاع منسوب التساقط بها، حيث تتجاوز في ذلك مختلف مناطق بلاد الرافدين.

ومن أشهر ما رواه "هيرودوت" عن بلاد بابل في معرض مقارنته الزراعية بينها وبين بلاد اليونان "**أنها تدرُّ ما بين 200 و300 ضعف في انتاج الحبوب "وعلى الأخص في منتوجي الحنطة والشعير**" وأشار الدارسون إلى ما في الأمر من مبالغة واضحة، والمعلوم أن السهول الأشورية في الشمال أكثر من المناطق البابلية انتاجاً وشهرة في هذا المجال [20].

وأشار هيرودوت إلى انعدام أشجار العنب والتين والزيتون في بلاد بابل، والأمر يزيد في شك المختصين في مدى زيارة المؤلف فعليا إلى المنطقة، ويزداد الأمر حينما يذكر أنّ "النخيل " كان منتشرا في بلاد أشور وهذا الأمر تنفيه جملة جغرافية المنطقة وتوزيع الغطاء النباتي فيها منذ العهود القديمة، حيث تظهر أشجار النخيل فقط في المناطق الجنوبية كلما اتجهنا من مدينة

"تكريت " (تقع مدينة تكريت على الضفة اليمنى لنهر دجلة وعلى بعد 180 كليومتراً شمال مدينة بغداد)، ويندثر توجد النخيل وينعدم كلما اتجهنا نحو الشمال.

ومن المعلومات الجغرافية التي تناولت نهر الفرات وصف هيرودوت له بأنه " **عريض عميق سريع التيار يتدفق من بلاد أرمينية** "، والمعلوم أن أوضاع نهر الفرات لم تكن كذلك في كل المناطق التي يجري فيها ولا يمكن إطلاق صفاته الجزئية على كل المناطق، وهنا نشير إلى أن النهر يكون عريضا سريع الجريان، لكنه في بعض المناطق يكون فيها قليل الاتساع غير صالح للملاحة، كما أنه في الجنوب يكاد يتلاشى في الأهوار المجاورة.

وقد أخطأ هيرودوت حينما أطلق تسمية البحر الأحمر على الخليج العربي، وهذه التسمية كما ذكرت سابقا انتقلت إلى الجغرافيين والمؤرخين اليونان ومنه وقع اللبس عند "بيروسوس" سابق الذكر.

ووصف لنا هيرودوت كيفية بناء مدينة بابل بصورة مفصلة وذلك في الكتاب الأول من كتابه في أثناء الحديث عن فتوحات "قورش الكبير" ملك الفرس الاخمينيين، والتي حسبه " **تقع في سهل واسع رباعية الشكل قطرها مائة و عشرون ستاديا** [21] " [22]، وهنا في الأمر مبالغة كبرة، كما يشير إلى " **أن المدينة محاطة في جهاتها الأربعة بخندق كبير عريض مليء بالماء** " والتي أبانت التنقيبات خلو المدينة من أية مخلفات تدل عن مثل هكذا خندق، وكل ما أكدته التنقيبات وجود السوران الذين ذكرهما هيرودوت. رغم ما في العرض والارتفاع من مبالغة كذلك [23]. والراجح أنّ هيرودوت كان يظن أن بابل تنتمي إلى بلاد أشور، وقد ذر ذلك في معرض حديثه عن قوة البابليين وكثرة مواردهم، فحين خضعت بابل لحكم الفرس فرض عليها دفع ضرائب لتوفير ضرائب للملك وحاشيته لتغطي أربعة أشهر من السنة حيث يقول: " **كان على منطقة بابل أن توفر الطعام خلال أربعة أشهر... ومن هنا يظهر أنّ بلاد أشور احافظ بثلث موارد مجموع آسيا برمتها** " [24]. ومما يثير التساؤل حول كتابات هيرودوت حقيقة زيارته لبابل هو إهماله لذكر العديد من المدن التي كان لها دور بارز في تلك الحقبة ومنها "سيبار" و"بورسيبا " التي تحولت إلى مقر لعبادة الإله" نابو" الذي ذاعت عبادته وتفرد بالتقديس محل الإله "مردوخ"

خاصة بعد حكم الملك "نابونائيد". وهي مدن غير بعيدة عن مدينة بابل. وعموما فإنّ معلومات هيرودوت على جغرافية بلاد ما بين النهرين تحتوي الكثير من الأخطاء والتي تجعل منها صعبة الاعتماد كمعلومات ذات مصداقية، ولعل مرد ذلك إلى الاحكام التي كان يصوغها بناءً على المقارنات التي كان يعقدها مع مدن وأقاليم يونانية تأثر بها في موطنه الأصلي وأثرت في نفسيته.

**3 . زينوفون:**

كما أشرت آنفاً فقد قدم "زينوفون" إلى بلاد الرافدين مع حملة العشرة آلاف من المرتزقة اليونان الذين قادهم "قورش الصغير" ضد أخيه "أرتحششتا" حوالي 401 ق.م، وفي نهاية الحرب وقع الاختيار على المؤلف ليعود بالمرتزقة اليونان إلى بلادهم، هنا روى لنا المؤلف كثيرا من المعلومات الجغرافية في كتابه "أناباسيس" والذي يعتبر حسب كثير من الدارسين [25] من أكثر الكتب أهمية في تاريخ وجغرافية بلاد ما بين النهرين رغم ما شابه من معلومات مغلوطة، هذا ومن الإشارات الجغرافية التي ذكرها المؤلف ما يأتي:

من المعلومات الجغرافية التي ذكرها المؤلف بعد انطلاقه من أرمينيا وعبوره للفرات وجود مدينة باسم " ثابساكوس" Thapsacus وهي مدينة "الرقة" أو"كركميش"، كما ذكر أنّه عبر نهر "أراخيس " Araxes والذي هو نهر الخابورو هنا قدم وصفا للبادية الفراتية عبر اشارته إلى حيوانات المنطقة مثل الحمار الوحشي والإبل والنعام، و بعد مسيرة 13 يوما وقطع حوالي 300 ميل (1ميل/ 1609متر) وصل جيشه إلى موقع سماه بيلا Pylae (تقع عند "الرمادي" أو ربما جنوب مدينة "هيت ") .

كما أشار إلى أنه في نهاية الحائط الميدي [26] (تحصين عسكري) كان عناك أربع قنوات تأخذ الماء من نهر دجلة وتصبه في الفرات غير أنّ مخلفات هذه المنطقة لا تؤيد ما وصفه "زينوفون" ولعلها فروع لنهر الفرات تروي المنطقة. [27] وهي حسب كثيرين لا تزال صالحة للارواء وهي نهر عيسى (يعرف برفائيل) ونهر "الملك" ونهر "كوثا" ونهر صرصر [28].

وبعد انسحاب المرتزقة اليونان في معركة "كونوكسا" (التي ذكرها بلوتارخوس) والتي قتل فيها الثائر "قورش الصغير" عبر المنسحبون طريق دجلة وبعد مسيرة ثمانية فراسخ [29]. وصلوا إلى مدينة

"سيتيس" Sittase عن طريق القوارب والتي وصفها "زينوفون" بأنها" **مدينة كبيرة كثيرة النفوس** " ولربما تقع قرب مدينة "واسط"، بعدها هبر مرتزقة اليونان المهزومون بمنطقة "باريساتيس" عقب مسيرة حوالي 100 ميل، ومنها وصلوا إلى مدينة سماها "زينوفون" "كاناي" والتي يرى أغلب الدارسين أنها مدينة "أشور" التي ظلت عامرة في تلك الفترة خاصة أنّه أشار إلى عبور نهر "الزاب" والتي قدر مسافتها عن المدينة السابقة بعشرين فرسخاً .

وبعد تجاوز زينوفون ومرتزقته لمسافة ستة فراسخ مر على قرية مهجورة قرب مدينة ماسبيلا Maspila ولربما تكون ماسبيلا هي نفسها مدينة "نينوى" ووصف طول سورها بأنه يعادل ستة فراسخ وهنا أشار زينفون إلى قصر شاهده على بعد أربعة فراسخ فلربما هو قصر الملك الأشوري "سرجون الثاني " الذي بناه في مدينة "دور شاروكين " الواقهة في الشمال الشرقي من نينوى، وبعد أحداث كثيرة يذكر "زينوفون" أنّه صمم على اختراق جبال "الكوردوكي" التي تفصله على شرق آسا الصغرى ومنطقة "أرمينيا" التي انطلق منها، وعلى رأي أغلب الدارسين فإنّ إشارة المؤلف هي أول ذكر للفظ كردستان والأكراد القاطنين شمال المنطقة [30]. وأشار إلى أنّهم " **قوم محاربون اشداء يتخذون في الجبال بيوتاً** " [31].

ومجمل القول حول هذه المصادر الكتابية التي تناولت جغرافية بلاد ما بين النهرين هو الآتي:

أن كتابات "بيروسوس "الواردة في الجزء الأول من كتاب "بابليات" تميزت بقلة المعلومات الجغرافية إذا ما قيس الأمر بكتابات المؤرخين "هيرودوت" و"زينوفون" وتفسير ذلك حسب الدارسين يعود إلى ميل "بيروسوس" إلى عرض المعلومات ذات الطابع التاريخي والتي تخص قضايا مثل الطوفان أو بعض القوائم الملكية أو حكم "نبوخذنصر الثاني "، كما انّ إهماله للمعلومات الجغرافية يذكرنا بتكوينه الديني من جهة أو لأنه عاش فترة كبيرة من حياته خارج المنطقة قيد الدراسة في جزيرة كريت، ومما زاد الأمر قلة هو ضياع الكثير من المعلومات الواردة في الكتاب كما ذكرت .

أنّ المعلومات التي استطعنا التماس المجال الجغرافي في كتبات "بيروسوس" جاءت عامة وغير مجدية، كما أنّ فيها عدم وضوح خاصة في قضيتي البلاد العربية من جهة والبحر الأحمر التي ذكرتهما سابقاً.

وبخصوص المعلومات الجغرافية الواردة عند هيرودوت فقد جاءت غزيرة ومتنوعة، بحيث مست الكثير من المواضيع التي ترتبط بالمجال الجغرافي، غير أنها جاءت في اغلبها تنم عن خلط كبير سبق الإشارة اليها، مما دفع بالدارسين إلى أنّ زيارة هيرودوت إلى بلاد ما بين النهرين أمراً غير مؤكد، ولربما محاولات هيرودوت للتغطية عن جهله بكثير من جغرافية المنطقة قد دفع به إلى محاولة تشبيه كثير من مدنها وأقاليمها والمسافات التي تفصل بينها بما هو موجود في بلاد اليونان القديمة.

كتابات "زينوفون" حول جغرافية بلاد ما بين النهرين كانت أكثر دقة وتفصيل، حيث زودنا بمعلومات استطاع تحديدها أطوالها بالفرسخ والاستاد وفق في أغلبها إلى حد كبير وتفسير ذلك منطقي كون هذا المؤلف استقى معلوماته على المشاهدة وصاغها بُعيد اكماله لهذه الحملة.

ومن كل ما سبق يمكن القول انّ كلّ دارس لجغرافية بلاد ما بين النهرين مجبر على تتبع المعلومات الواردة في المصادر الكتابية المختلفة بشيء من الحذر ومحاولة مقابلة المعلومات الواردة فيها، ليتسنى له الحصول على معارف دقيقة تتماشى مع واقع الحال وما هو راسخ على مستوى المخلفات الاثرية وتوزيع مظاهر السطح، وأنّ جغرافية المنطقة لا يمكن دراستها بشكل مجدي دون الاستعانة كذلك بمصادر أكثر تفصيلا ودقة ومنها كتابات الجغرافي "استرابون" وكتابات "بطليموس"، ثم التفصيلات الواردة في الكتابات اللاتينية المختلفة.

## الهوامش:

1- هشام محمد مباركي، قصة الطوفان بين الأسطورة والدين دراسة وصفية تحليلية مقارنة، الأكاديميون للنشر، ط1، 2016، ص42. وانظر: جيمس فريزر، الفلكلور في العهد القديم، تر: نبيلة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د: ط، 1972، ص94.

2- Stanley Mayer Burstein. **the babyloniaca of berossus .** sources and monographs sources from the ancient - near east. Volume 1 undena publication . malibu.1978. P5.

3- أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم (5)، تاريخ العراق- إيران – آسيا الصغرى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د: ت، ص51.

4- هشام محمد مباركي، قصة الطوفان بين الأسطورة والدين دراسة وصفية تحليلية مقارنة، ص43.

5- **يوسفيوس فلافيوس**: كاتب و مؤرخ يهودي ولد في القدس ، عاش بين 37و 95 م ، في منطقة "الجليل" بفلسطين مع بداية ثورة اليهود الكبرى ضد الحكم الروماني، أسرته قوات "تيتوس " عام 67 م ، لكنه نجح في الافراج عن نفسه عندما زعم أن " فسياسيانوس" سيصبح امبراطورا وظل بجوار "تيتوس" حتى سقطت القدس عام 70م ، ومنها ذهب إلى روما و عاش بها و ألف كتبا منها " تاريخ الحرب اليهودية " بين عامي 75و 79م و كتاب عن" آثار اليهود" في عشرين جزءا.(أنظر: رمضان عبده علي ، تاريخ مصر القديم ، ج1 ، دار نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، 2001، ص262.)

6- **أوزابيوس القيصري**: أسقف قيصرية فلسطين (265 340 م)، كان مقربا من الإمبراطور قسطنطين واشترك في الصراعات بين الأرثوذكسية والآريوسية، لقب بأبي التاريخ الكنسي، وله كتب ك " حياة قسطنطين "و"تمهيد إلى الحياة الإنجيلية " و"شهداء فلسطين "تغطي هذه الكتب تاريخ المسيحية حتى عام 323 م (أنظر: هنري س عبودي، معجم الحضارات السامية، ط2، جروس برس، بيروت ،1991، ص161).

7- .Stanley Mayer Burstein. the babyloniaca of berossus. P11و أنظر: عيد مرعي، تاريخ بلاد الرافدين، منذ أقدم العصور حتى عام 539 ق.م، ط1، دار الأبجدية، دمشق، 1995، ص20.

8- عن الأخطاء التي وقع فيها المؤرخ اليوناني هيرودوت في كتاباته حول تاريخ العراق القديم أنظر: سامي سعيد الأحمد، " العراق في كتابات اليونان والرومان "، مجلة سومر، مديرية الآثار القديمة العامة، مج 16، 1970، ص، ص 113-142.وأنظر: سليم طه التكريتي،" العراق في تاريخ هيرودوت"، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، مج8، العدد3، 1979، ص. ص، 12-23.

9- مارغريت روتن، تاريخ بابل، تر: زينة عازار وميشال أبي فاضل، ط2، منشورات عويدات، بيروت، 1984، ص14.

10- توفيق سليمان، دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة من أقدم العصور إلى عام 1190ق.م، ط 1، دار دمشق، دمشق، 1958، ص28.

11- سامي سعيد الأحمد، "العراق في كتابات اليونان والرومان "، ص113.

12- فؤاد جميل، " زينوفون في العراق وحملة العشر آلاف اغريقي "، مجلة سومر، مج 20، 1964، ص227.

13 زينوفون، حملة العشرة آلاف (أناباسيس) (الحملة على فارس)، ترجمه من الإنجليزية: يعقوب أفرام منصور، بغداد، 1965، ص5.

14- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص123.

15- Stanley Mayer Burstein, op-CIT, P17.
16- Ibid, P13.
17- Ibid, P13.

18- Ibid, P17.

19- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص 113.

20- المرجع نفسه، ص 114.

21- **ستاديا**: وحدة قياس يونانية معدل طولها 185 متر.

22- دلت التنقيبات على أنّ مدينة بابل لم تكت رباعية الشكل بل مخططها اتخذّ شكل المستطيل، أما عن محيطها فقد بلغ 18 كيلمتر مربع (أنظر: سليم طه التكريتي، العراق في تاريخ هيرودوت، ص13.

23- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص 116.

24- سليم طه التكريتي، المرجع السابق، ص19.

25- فؤاد جميل، " زينوفون في العراق وحملة العشر آلاف اغريقي "، ص 228.

26- **الحائط الميدي**: مشتق من ميديا زوجة آخر ملك ميدي قتله الفرس، ويرى بعضهم انه مشتق من ارض ميديا، ويقال ان السور بنته "سميراميس" للدفاع عن مملكتها ويُعتقد ان السور كان يمتد بين دجلة والفرات وتظهر آثاره في الخرائب المعروفة بـ " سد نمرود " وصفه "زينوفون" قائلاً:" **هذا الجدار المادي (الميدي) كان مبنيا بالآجر (الطابوق) المختلط بالاسفلت عرضه عشرون قدما وارتفاعه مائة قدم، وطوله عشرون فرسخا ولم يكن بعيدا جدا عن بابل**" (أنظر: فؤاد جميل، المرجع السابق، ص237).

27- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص 119.

28- فؤاد جميل، المرجع السابق، ص238.

29- **الفرسخ**: وحدة لقياس المسافات، أصلها مشتق من كلمة فارسية، تعادل 5.8 كلم.

30- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص 122.

31- فؤاد جميل، المرجع السابق، ص229.